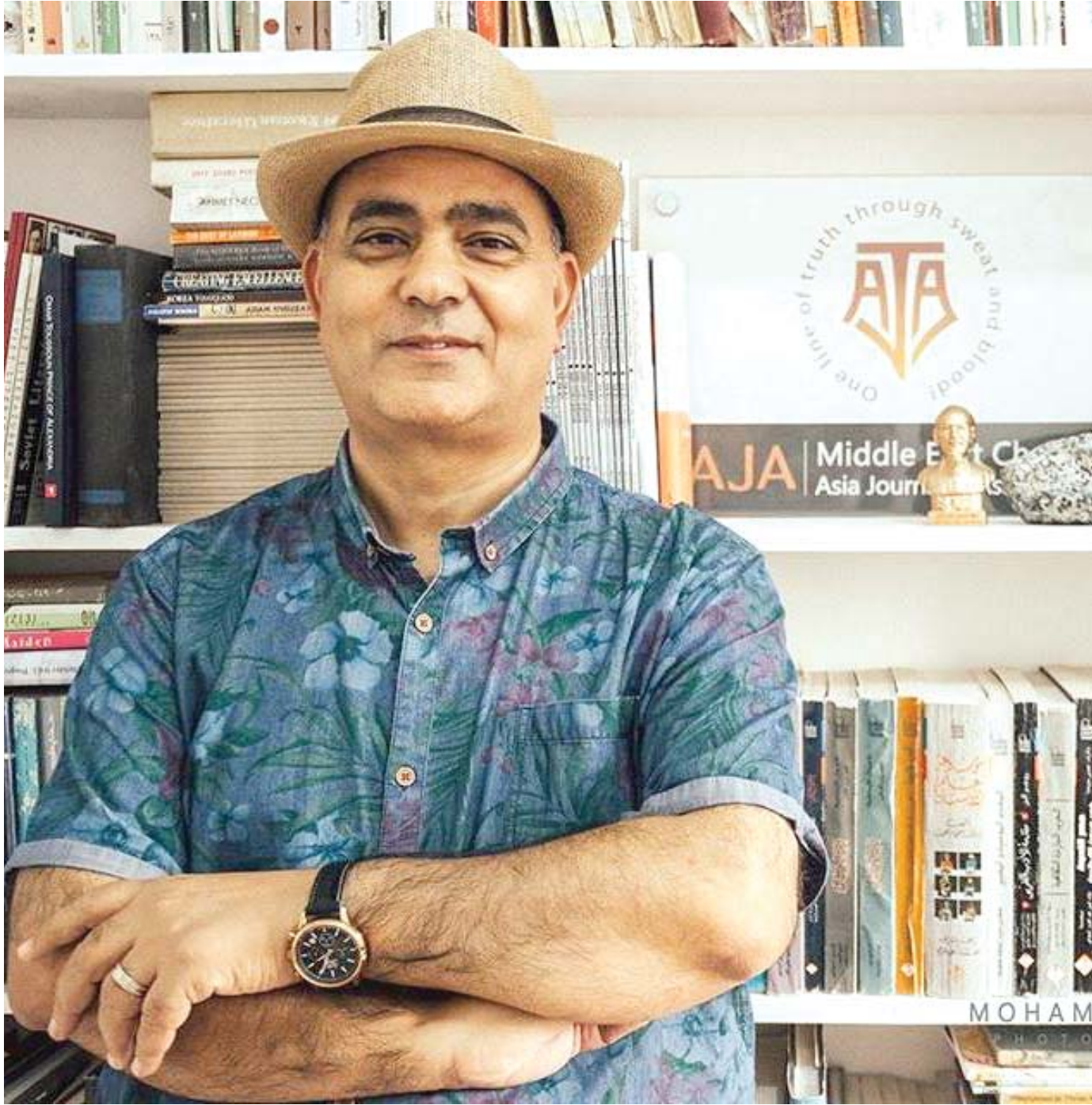


أدب السفر نبع يتدفق بالأشكال والأنواع والمفاجآت

أشرف أبو اليزيد: الأدب العربي يدين بميلاده لأدب الرحلة



أشرف أبو اليزيد: عشت مغتربا عن مصر لأكثر من عقدين وكتابتي مرتبطة بالغياب والسفر

يُمكن أن تصير الرحلة بما تتبناه من آفاق استكشافية منبععا ثريا لأشكال إبداعية متنوعة، ولاسيما حين تشتبك مع أسئلة الواقع المعيش وإنشغالاته، وبما يُمكن أن تقدّمه من تساؤلات ثقافية وحضارية وإنسانية. "العرب" حاورت الكاتب المصري أشرف أبو اليزيد حول أعماله الإبداعية التي تستند في جلها إلى شغف بالرحلة.



حنان عقيل
كاتبة مصرية

أشرف أبو اليزيد، روائي وشاعر مصري، صدر له عدد من الأعمال في الرواية وأدب الرحلة والشعر وأدب الأطفال فضلا عن الدراسات النقدية والتشكيلية. يوضح الكاتب في حديثه مع "العرب" أن في كل ما يكتب هناك محاولة لصون اللغة، حيث يعدها مشتركا إبداعيا جديرا بالحماية والابتكار.

فاللغة التي عانت حينما من الترهّل بفعل المنشطات اللغوية الزاخرة، أو التهمذ تحت ضربات معاول التغريب الإنجليزي والسكسوني والفرانكفوني، تحتاج من يضعها تحت جهاز تنفس اصطناعي، يعيد انتظام نبضات قلبها، حتى تتشفي، خاصة في خضم مراحل متارحة للهوية العربية، وأزمات حياتية لا ترى في حماية هذه اللغة أدنى أولوية.

يضيف "الأمر لا يمثل قدسية للابجدية، وإنما لما تحملته اللغة من معان، لذلك أرى أن ما نكتبه ليس شيئا إذا تم تجريده من اللغة السليمة، التي أعدها معادلا موضوعيا للهوية، خاصة للجيل الجديد.

كانت الدهشة، رغم المعرفة القرائية المسبقة، تعتريني في اللحظة التي يقول لي دليلي إن هذا هو قبر الأمير تيمور، أو أن تلك هي غرفة المهاتما غاندي، أو أن ذلك هو ضريح شتي منه..

العربي حياته الرحلة، لذا كانت قصائده الشعرية وأيامه الثرية صدى لذلك الترحال، وحين اتسعت جغرافيته بعد انتشار الإسلام، وتفرع طرق السفر، وجدنا ذلك في مؤلفاته وترجماته

وحتى اليوم، ودراسة الفنون النوعية لتلك المناطق، إذ لم تعد الأيقونات المعمارية مجرد صور، بل مشيت فيها، وعشت بها، وأقمت جوارها. وأخيرا كان الاتجاه الثالث شرقا محاولتي لاكتشاف سر التقدم الذي حظيت به أو كادت كل الدول التي زرتها، في مجالات عديدة، رغم أنها بدأت معنا، أو بعدنا، بينما نحن لا نزال نراوح مكاننا.

وكان من بين ما أردت سبره هو دراسة المكان عبر شخصية تاريخية، كيف تركت بصمتها عليه، مثل سيرة السلطان أكبر، في راجستان، أو سيرة أحمد بن فضلان، في تارسستان، والأمر جدير بمحاولة المتابعة مع شخصيات في رحلة عبرت الأزمنة". وفي ما يخص تأثير الشعر على فضاء أدب الرحلة يقول "لم يغيب الشعر عن أدب الرحلة، ولم يخف في الرواية، فالكتابة الشعرية تشبه جينا أو حمضا نوويا يتسرب دون حساب إلى سطور السرد. ستجدين قصائد في بعض استطلاعاتي، وجدت لها مكانا، مثل قصيدة فلانكو في: رحلة قرطبة، وتجدين شخصية لا تتحدث إلا شعرا في: الترجمان. إنما الشعر حياة، وهي لا تتوقف، وإنما توقفت عن نشر الشعر، الجديد منه، وأتابع نشر ترجمات لقصائدي بالسفن أخرى".

مشروع "ارتداد الأفق"، وقد توسعت فروعه، وتكامل مساره بجائزة ابن بطوطة، فقد مثل نقطة تحول نبّهت دور النشر إلى هذا الأدب. ويقول "لا أنسى الإشارة بالتأكيد إلى مجلة: العربي، وإلى تعريب مجلة: ناشيونال جيوغرافيك، فقد أصبح الفضاء الثقافي متاحا للغرس والنمو والازدهار تحت هذه الصوبات المخصبة".

الشرق الآسيوي يروي أبو اليزيد بدايات انجذابه لعوالم أدب الرحلة قائلا: "كانت الدهشة، رغم المعرفة القرائية المسبقة، تعتريني في اللحظة التي يقول لي دليلي إن هذا هو قبر الأمير تيمور، أو أن تلك هي غرفة المهاتما غاندي، أو أن ذلك هو ضريح هو شي منه.. هنا من جنكيز خان، وهناك عاش تقيية بن مسلم الباهلي؛ عشرات يخرجون من عباءة الماضي ليصافحوا حواسي الحاضرة. تعيدني العمارة إليهم؛ فقد كانت القلاع العريقة تستحضر التاريخ، مثلما كانت البيوت القديمة تستعيد، وتظل المساجد تحتفظ به، كما تتنفسه الشوارع العتيقة. وحين عرفت أن الأولين في مصر والمغرب وبلاد الرافدين، وسواهم في حضاراتنا، كانوا سباقين لاكتشاف الشرق الآسيوي، أخذت منحاى إلى أرجاء القارة العملاقة، لإعادة اكتشاف الشرق عبر ثلاثة اتجاهات؛ كشف ما بقي من روابط إسلامية وعربية منذ بدأ ذلك الاتصال المبكر بتلك البقاع.

كان كذلك مؤرخا، أو رساما، أو فليكا، وهذه الروح الموسوعية اتسعت لتعانق مساراته، زمانيا ومكانيا، لذلك، وفي البداية، ارتبطت رحلته باتساع المسافة، وطول الزمن.

أعمال "المركز العربي للأدب الجغرافي - ارتداد الأفق" بدأت تسد هذا النقص عبر نشاط متواصل لعقدين من الزمن فاتحفت المكتبة العربية بدراسات شاملة في هذا الأدب، ويذكر هنا بعض الأمثال، ككتاب "الرحلة العربية إلى أوروبا وأميركا والبلاد الروسية" للدكتور عبد النبي زاهر، و"صورة المشرق العربي في كتابات رحالة الغرب الإسلامي" للدكتور نواف عبدالعزيز الجمحة، وكتاب "الرحلة السفارية من الإنقاذ إلى الاختلاف" للدكتورة زهبة جابري، وكتاب "الرحلات الجزائرية إلى المشرق" للدكتورة سميرة اتساع، وكتاب "الرحلة السفارية" للدكتور الطائع الحدادي، وكتاب "رحالة الغرب الإسلامي في القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر للهجرة" للدكتور محمد المغربي، وكتاب "الرحلة الأندلسية" للدكتور أحمد بوغلا، إضافة إلى عشرات الدراسات الأخرى التي شكلت مكتبة نقدية زاخرة موازية للمكتبة الثرية التي أنجزها هذا المركز الرائد في تحقيق الرحلات، خصوصا من خلال جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلة التي يمنحها المركز سنويا لأعمال لم يسبق تحقيقها ونشرها، وأخرى تنتهي إلى جنس الرحلة المعاصرة.

وقد وجد الرحالة العرب المحدثون بوابات تفتح لهم، لنشر إبداعاتهم، عبر أعمال "المركز العربي للأدب الجغرافي - ارتداد الأفق" بدأت تسد هذا النقص عبر نشاط متواصل لعقدين من الزمن فاتحفت المكتبة العربية بدراسات شاملة في هذا الأدب، ويذكر هنا بعض الأمثال، ككتاب "الرحلة العربية إلى أوروبا وأميركا والبلاد الروسية" للدكتور عبد النبي زاهر، و"صورة المشرق العربي في كتابات رحالة الغرب الإسلامي" للدكتور نواف عبدالعزيز الجمحة، وكتاب "الرحلة السفارية من الإنقاذ إلى الاختلاف" للدكتورة زهبة جابري، وكتاب "الرحلات الجزائرية إلى المشرق" للدكتورة سميرة اتساع، وكتاب "الرحلة السفارية" للدكتور الطائع الحدادي، وكتاب "رحالة الغرب الإسلامي في القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر للهجرة" للدكتور محمد المغربي، وكتاب "الرحلة الأندلسية" للدكتور أحمد بوغلا، إضافة إلى عشرات الدراسات الأخرى التي شكلت مكتبة نقدية زاخرة موازية للمكتبة الثرية التي أنجزها هذا المركز الرائد في تحقيق الرحلات، خصوصا من خلال جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلة التي يمنحها المركز سنويا لأعمال لم يسبق تحقيقها ونشرها، وأخرى تنتهي إلى جنس الرحلة المعاصرة.

كان كذلك مؤرخا، أو رساما، أو فليكا، وهذه الروح الموسوعية اتسعت لتعانق مساراته، زمانيا ومكانيا، لذلك، وفي البداية، ارتبطت رحلته باتساع المسافة، وطول الزمن.

لذا حينما أقرأ عملا روائيا، أو سردا في أدب الرحلة، يخلط عن قصد أو جهل، بين ثروة المقاهي الشفاهية، ونثر اللغة المدونة، أرى أننا أخفقنا".

أصداؤنا في رواياته الأربع "شماوس"، "حديقة خلفية"، "31" و"الترجمان"، ثمة انشغال بالرحلة بشكل ما، من خلال التركيز على أنماط الحياة والعمل خارج الوطن، يتحدث أبو اليزيد عن ذلك الاهتمام بالرحلة في كتاباته بقوله "في "شماوس" يعود الأستاذ الجامعي الذي كان يُدرّس الفنون من الخارج كي يلحق ابنته بجامعة مصرية، فيواجه انقسام مجتمعه، وتشظيه إلى طبقات، ودراسة السلطة، والجرائم التي يقع ضحيتها البسطاء، في "حديقة خلفية" انعكاس

